MALAYSIAN JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
e-ISSN: 2550-2042
http://dx.doi.org/

PENERBIT Universiti Sultan Zainal Abidin

MALAYSIAN JOURNAL FOR ISLAMIC STUDIES MJIS

https://journal.unisza.edu.my/mjis

تعزيز قيمة الاعتماد على الذات في النصوص النبوية
دراسة في دور المشاريع الصغيرة في خفض مستويات الفقر

[ENHANCING THE VALUE OF SELF-RELIANCE IN PROPHETIC HADITHS: A STUDY OF THE CONTRIBUTION OF SMALL ENTERPRISES TO ALLEVIATING POVERTY]

SAMER NAJEH ABDULLAH SAMARH[1*], MOHAMED KHUDARI[2]

[1*]Faculty of Quranic and Sunnah Studies, University Sains Islam Malaysia,
Nilai 71800, Nilai, MALAYSIA
E-mel: samernajeh@usim.edu.my

[2]College of Graduate Studies, Universiti Tenaga Nasional, 43000 Kajang, Selangor, MALAYSIA
Email: khudari@uniten.edu.my

*Corresponding author: samernajeh@usim.edu.my

Received Date: 18 November 2024 • Accepted Date: 2 December 2024 • Publish Date: 31 December 2024

Abstract

This research aims to investigate how contemporary societies utilize Prophetic Hadiths to promote self-reliance as a viable strategy for alleviating poverty, through an analysis of the impact of small enterprises on economic independence and self-sufficiency. The issue addressed by this research is the lack of a culture of self-reliance and economic independence in many communities, which often leads to increased dependency on aid and higher poverty rates. Considering contemporary economic development challenges, there is a pressing need to explore sustainable methods grounded in the Prophetic tradition to promote values of individual effort and entrepreneurship. This research aims to provide a practical model for activating self-reliance, utilizing Prophetic texts to support small enterprises as an effective means of achieving self-sufficiency and reducing poverty levels. This study employs an inductive methodology for the collection and categorization of Prophetic Hadiths related to self-reliance and trade, alongside an analytical approach for the comprehension and interpretation of these Prophetic Hadiths. The findings suggest that promoting the principle of self-reliance, as articulated in the Prophetic Hadiths, can substantially alleviate poverty and reinforce economic independence, particularly by encouraging the growth of small enterprises, which are pivotal to economic and social development. The research provides a practical framework derived from Prophetic Hadiths to enhance economic sustainability across contemporary societies. It presents an effective approach for alleviating poverty and improving quality of life.

Keywords: Self-Reliance, Small enterprises, Poverty, Economic and Social Development

المخلص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف كيفية استفادة المجتمعات المعاصرة من النصوص النبوية في تعزيز قيمة الاعتماد على الذات كأسلوب فعّال لمكافحة الفقر، من خلال تحليل دور المشاريع الصغيرة في تحقيق الاستقلال الاقتصادي والاكتفاء الذاتي، تتمثل المشكلة التي يعالجها هذا البحث في افتقار العديد من المجتمعات إلى ثقافة الاعتماد على الذات والاستقلال الاقتصادي، مما يؤدي إلى زيادة الاعتماد على المساعدات وارتفاع مستويات الفقر. وفي ظل تحديات التنمية الاقتصادية المعاصرة، تبرز الحاجة إلى استكشاف سبل مستدامة تستند إلى التراث النبوي لتعزيز قيم العمل الشخصي وريادة الأعمال. يهدف البحث إلى تقديم نموذج عملي لتفعيل الاعتماد على الذات، عبر استثمار النصوص النبوية لدعم المشاريع الصغيرة، كوسيلة فعّالة لتحقيق الاكتفاء الذاتي والتقليل من معدلات الفقر .يستخدم البحث منهجًا استقرائيًا لجمع وتصنيف النصوص النبوية المرتبطة بالاعتماد على الذات والتجارة، ومنهجًا تحليليًا لفهم وتفسير هذه النصوص.تشير النتائج إلى أن تعزيز قيمة الاعتماد على الذات كما ورد في النصوص النبوية يمكن أن يسهم بشكل ملموس في خفض مستويات الفقر وتعزيز الاستقلال الاقتصادي، خاصة من خلال تنمية المشاريع الصغيرة التي تُعدّ محورًا رئيسيًا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.يقدم البحث إطارًا عمليًا مستندًا إلى النصوص النبوية لتعزيز الاستدامة الاقتصادية في المجتمعات المعاصرة، مما يوفر نموذجًا فعّالًا للحد من الفقر وتحسين جودة الحياة.

الكلمات المفتاحية: الاعتماد على الذات، المشاريع الصغيرة، الفقر، التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

.

Cite as: Samer Najeh Abdullah Samarh & Mohamed Khudari. 2024. Ta‘ziz Qayyimah al-I‘timad ‘ala al-Dhat fi al-Nusus al-Nabawiyah Dirasah fi Dawr al-Mashari‘ al-Saghirah fi khafd mustawayat al-faqr [Enhancing The Value of Self-Reliance in Prophetic Hadiths: A Study of The Contribution of Small Enterprises to Alleviating Poverty]. *Malaysian Journal for Islamic Studies* 8(2): 79-89.

المقدمة

يُعدُّ الفقر أَحد أَهم المشاكل التي تعاني منها المجتمعات البشرية في دورة حياتها؛ والتي تؤثر سلباً على تقدمها وازدهارها وتماسكها، فقد ذكر تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة أن هناك قرابة 700 مليون شخص حول العالم يعيشون في فقر مدقع بسبب الدخل حيث يقل دخلهم اليومي عن **2.5**دولار أمريكي، ويقفز الرقم ليصبح 1.1 مليار بمقياس دليل الفقر المتعدد (Pedro Conceição, 2024)

والفقر في نظر الإسلام مصيبة عظيمة تعَّوذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وعدَّها قرينة الكفر؛ لما يُخشى من سوء آثارها على الفرد والمجتمع، ففي حديث أَبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الكلمات: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» (أبو داود، 2009)، ولأن الإسلام منهج حياة متكامل؛ فقد حرص على مواجهة ظاهرة الفقر بصورة متوازنة، وذلك من خلال طرح وسائل فعالة تضمن تقليل نسبة الفقر إلى أدنى المستويات، والتخفيف من مضاعفاته وآثاره السَّلبية.

وقد تنوَّعت الوسائل والحلول التي طرحها الإسلام لعلاج هذه المشكلة، وأَجْمَلها في محورين اثنين هما:

1. زيادة الوعي بأهمية الاعتماد على الذات، والاستغناء عمَّا في أَيدي الناس، وذلك من خلال تحفيز الإنسان على العمل والكسب من كدِّ يده.
2. سن قوانين وتشريعات تُلزِم أَفراد المجتمع بالتكافل فيما بينهم، وترتب عليها الأُجور العظيمة، من ذلك: إيجاب فرض الزكاة؛ والذي يُعدُّ ركنًا من أَركان الإسلام، وكفالة الموسورين من الأَقارب، وإيجاب حقوق غير الزكاة في الأموال وغيرها (القرضاوي، 1985).

إنَّ من الوسائل الفعَّالة والمنبثقة عن محور زيادة الوعي وأَهميَّة الاعتماد على الذات: تشجيع المسلم على تكوين مشروع صغير مستقل يكسب منه قوت يومه، فيكفي نفسه وعائلته، دون الحاجة إلى طلب المساعدة من الأفراد أو المؤسسات الخيرية؛ بل ويتعدَّى النَّفع ليصل إلى باقي أفراد المجتمع، حيث تعمل مثل هذه المشاريع على تعزيز انتشار قيمة الوعي بأهميَّة الاعتماد على الذات، وتشغيل العديد من الأيدي العاملة، فتُقَلِّصُ بذلك رقعة العَوَز والفقر، ويصبح المسلم عضواً إيجابياً منتجاً مساهماً في بناء المجتمع وتنميته.

إنَّ تفعيل قيمة الوعي بضرورة الاعتماد على الذَّات دون الحاجة للآخرين، وصناعة الفرص العملية للتَّقدُّم والرُّقي ضعيف أو غائب عن واقع المسلمين، أفرادًا ومجتمعات، فكرًا وتخطيطًا وعملًا؛ لذلك فإن نسبة البطالة مرتفعة في كثير من البلاد الإسلامية، حيث بلغت بنسبة 12% من إجمالي السكان، بينما يصل المعدل العالمي ما نسبته 5% فقط، (Bank, 2023)؛ وهذا يدل على أن معدلات البطالة في العديد من الدول الإسلامية خاصة في المنطقة العربية أعلى بكثير من المتوسط العالمي؛ مما يؤدي إلى توسُّع دائرة الفقر في المجتمعات، وما ينتج عنه من عدم استقرار يشمل جميع مناحي الحياة.

وتتجلى أهمية هذا البحث في أَنَّه يكشف عن أهمية وضرورة تعزيز قيمة الاعتماد على الذات في المجتمعات المسلمة، والتي ينبثق عنها سلوك تطبيقي عملي يتمثَّل بانطلاق المسلم لامتلاك الأدوات التي تعينه على تحقيق ذلك والتي من أَهمها المشاريع الصغيرة.

إنَّ المشاريع الصغيرة تلعبُ دورًا مهما في التنمية والارتقاء بالدول والأفراد، حيث تبلغ نسبة المشاريع

الصغيرة من إجمالي المشاريع في العالم ما نسبته 95%، وتؤكد التجارب العملية في دول كبيرة مثل الهند والصين واليابان على دور المشاريع الصغيرة في تحقيق تقدم اقتصادي كبير على المستوى العام (النعيم، 2015)، كما وتقدَّر مساهمة قطاع المشروعات الصغيرة والمتوسطة في مجموعة الدول النامية واقتصادات السوق الناشئة بحوالي 40 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي، و 60 في المائة في التشغيل بالقطاع الرسمي حسب بيانات البنك الدولي. وينتظر أن تلعب المشروعات الصغيرة والمتوسطة دورا بارزا في تخفيف حدة البطالة في الدول النامية خلال السنوات المقبلة، ذلك لقدرتها العالية على خلق فرص العمل، حيث تساهم في خلق 4 من بين كل 5 فرص عمل جديدة يتم توفيرها في القطاع الرسمي (عبد المنعم , هبة ; وآخرون، 2019)، كما أنَّها توظِّف 63% من القوى العاملة في العالم (Berisha و Shiroka Pula، 2015).

كذلك تُعزِّز المشروعات الصغيرة من مكانة المرأة في المجتمع؛ وذلك بتحقيق فرص مهمة لتكون شريكة في لعب دور فعال في تنمية المجتمع وتطويره (اتحاد المصارف العربية، 2018)، إضافة إلى ذلك فإنَّها تساعد في تشكيل الابتكار والإبداعات والتي تنقل الدولة إلى مصاف الدول المتقدمة.

وبالنظر إلى الدراسات السَّابقة ذات العلاقة بالمشاريع الصغيرة؛ فقد وجد الباحثان أنها ركَّزت على الجوانب الاقتصادية البحتة دون الاهتمام بجوهر المسألة وأصلها وهو: أهمية قيمة الوعي وأثره في صناعة جيل يعتمد على ذاته، ويولِّد فيه الإيجابية التي تدفعه للبناء والتطوير من خلال مشاريع تبدأ صغيرة، وتتوسع لتساهم في رقي المجتمع، وهذا ما سيعمل الباحثان على القيام به في هذه الدراسة.

المبحث الأول: مفهوم الاعتماد على الذات بين المنظورين الإسلامي والغربي.

يتفق علماء الاجتماع المسلمون والغربيون على تحديد الإطار العام لمفهوم الاعتماد على الذات، والذي يقوم على ثلاثة أسس رئيسية وهي:

1. أهمية العمل والجد.

يؤكد كل من المنظورين الإسلامي والغربي على أهمية العمل والجد في تحقيق التقدم والازدهار، فيوضح ابن خلدون في "المقدمة" أن العمل الشخصي والاجتهاد هما أساس بناء الحضارات وتنمية المجتمعات، كما ويشير إلى أن العمل الدؤوب يسهم في تحقيق الرزق والاستقلالية الاقتصادية، مما يعزز من استقرار الأفراد والمجتمعات (ابن خلدون ، 2001). بالمثل، يدعو رالف والدو إمرسون في مقالته الشهيرة "الاعتماد على الذات" إلى الثقة بالذات والاعتماد على العمل الشخصي كوسيلة لتحقيق النجاح والنمو الشخصي، مؤكدًا أن الاعتماد على الذات يمكن الفرد من مواجهة تحديات الحياة بشجاعة واستقلالية (Myerson, 2000).

2. التعليم والتطوير الذاتي

التعلم المستمر وتطوير المهارات الذاتية هما من القواسم المشتركة بين المنظورين الإسلامي والغربي، فيشجع ابن الوردي في رسالته على الاجتهاد الشخصي في التعلم وتطوير المهارات، مما يعزز من استقلالية الفرد الفكرية والعلمية (ابن الوردي، 1996) من جهة أخرى، تركز نظرية الكفاءة الذاتية لألبيرت باندورا على تطوير المهارات الشخصية وزيادة الثقة بالذات من خلال التعليم والتجربة، موضحة أن الأفراد الذين يؤمنون بقدرتهم على النجاح يحققون مستويات أعلى من الأداء والإنجاز (Honicke, Toni; Jaclyn Broadbent، 2016)

3. الاجتهاد الشخصي وإيجاد المعنى

يرى ابن القيم في كتابه "مدارج السالكين" أن الاعتماد على الذات يتضمن الاجتهاد الشخصي في العبادة والعمل الصالح -بمعناهما الواسع- لتحقيق الأهداف الدينية والدنيوية، مما يعزز من ثقة الفرد بنفسه وقدرته على تحقيق أهدافه (ابن قيم الجوزية، 2019) في السياق الغربي، يركز فيكتور فرانكل على أهمية إيجاد المعنى الشخصي للحياة من خلال الاجتهاد الشخصي وتحمل المسؤولية، معتبراً أن تحقيق المعنى الذاتي يعزز من قوة الفرد واستقلاليته (Krasovska, Nataliya; Fouché,Paul J, 2021)

الفروق الثقافية والفلسفية بين المنظورين الإسلامي والغربي:

على الرغم من وجود القواسم المشتركة، إلا أن هناك اختلافات جوهرية في مفهوم الاعتماد على الذات بين المنظورين الإسلامي والغربي تتعلق بثلاث ركائز مهمة:

1. التوكل على الله (البعد الإيماني) مقابل الاستقلالية الفكرية

يركز المنظور الإسلامي على البعد الإيماني والاعتماد على الله بعد الاجتهاد الشخصي كجزء أساسي من الاعتماد على الذات، فيرى العلماء المسلمون، مثل الغزالي، أن التوكل على الله يعزز من ثقة الفرد بقدرته على تحقيق النجاح بمعونته سبحانه وتعالى (الغزالي ، 1982) في المقابل، تركز النظريات الغربية على الاستقلالية الفكرية والفردية المادية، حيث يدعو إمرسون الأفراد إلى الثقة بأنفسهم واستقلالهم عن التقاليد الاجتماعية (Emerson, 1841).

2. التعاون المجتمعي مقابل الفردية

يشدد العلماء المسلمون، مثل ابن خلدون، على أهمية التعاون المجتمعي ودور المجتمع في تحقيق الاعتماد على الذات، حيث يرى أن الفرد لا يمكن أن يحقق النجاح بمفرده؛ بل يحتاج إلى دعم المجتمع وتعاونه لتحقيق الأهداف المشتركة (ابن خلدون ، 2001) في المقابل، تركز النظريات الغربية على الفردية والاستقلالية الشخصية بعيداً عن تأثير المجتمع حيث تؤكد نظرية باندورا حول الكفاءة الذاتية على قدرة الفرد على تحقيق النجاح من خلال جهوده الشخصية دون الاعتماد على الدعم المجتمعي (Seon Ahn, H., Bong, M., Renninger, K. A., & Hidi, S. E., 2019) (Bandura, 1997).

3. التوجيه الأخلاقي والديني مقابل البراغماتية

تعتمد النظريات الإسلامية على التوجيه الأخلاقي والديني كجزء أساسي من الاعتماد على الذات، فيذكر الغزالي في "إحياء علوم الدين" أن الالتزام بالقيم الأخلاقية والدينية يوجه الأفراد نحو الاعتماد على الذات بطريقة تحقق التوازن بين الدنيا والآخرة (ابن خلدون ، 2001) في المقابل، تعتمد النظريات الغربية على البراغماتية والاستفادة العملية لتحقيق النجاح دون الحاجة إلى نظام أخلاقي يوجه ويضبط السلوك. فيركز كارل روجرز، في نظريته حول تحقيق الذات، على تحقيق الأهداف العملية من خلال الاستقلالية والجهد الشخصي، ويعتبر أن الأفراد يجب أن يسعوا لتحقيق رضاهم الشخصي بمعزل عن القيود الأخلاقية والدينية **(Rogers, 1961).**

النقد والتحليل

تتقاطع النظريات الغربية والإسلامية في جزئيات محددة حول مفهوم الاعتماد على الذات، ويعتقد الباحثان أن هناك حاجة إلى تحقيق توازن بين الاستقلالية الفردية والتوجيه الأخلاقي والمجتمعي، وهذا ما يمكن للنظريات الإسلامية أن توفره، فهي قادرة على بناء نموذجٍ متكاملٍ يعزز من الاعتماد على الذات مع الحفاظ على القيم الاجتماعية والأخلاقية. في المقابل، تؤدي النظريات الغربية التي تركز على الفردية المفرطة إلى تعزيز الأنانية وتفكك الروابط الاجتماعية؛ مما يؤدي إلى تصرفات غير أخلاقية تسعى لتحقيق النجاح بأي ثمن.

الاستنتاج

يرى الباحثان بعد إجراء المقارنة لمفهوم الاعتماد على الذات بين النظريات الإسلامية والغربية الآتي:

1. تدمج النظرية الإسلامية البعد الإيماني والروحي في مفهوم العمل والجد؛ ممَّا يولِّد عند الفرد شعورا بالانتماء إلى المجتمع ويخلق عنده أساسا أخلاقيا يحكم تصرفاته، أما في المنظور الغربي فتعزيز الفردية المطلقة وتهميش البعد الاجتماعي يؤدي إلى تعزيز الأنانية وتفكك الروابط الاجتماعية.
2. تقدم النظريات الغربية مفهوما قويا يعتمد على تطوير المهارات الشخصية، لكنه تطوير يغيب عنه التربية

الإيمانية والأخلاقية، بينما النظرية الإسلامية تقدم تصورا متكاملا يجمع بين التعليم كوسيلة للتنمية الدينية والذاتية في آن واحد.

3. تركز النظريات الغربية على المعنى المادي الشخصي في حياة الفرد دون ربطه بروابط إيمانية أو اجتماعية مما يؤدي إلى تفكك المنظومة الأخلاقية داخل المجتمع، في حين أن النظرة الإسلامية تعدُّ الاجتهاد الشخصي جزءا من مسار التكامل الروحي والمجتمعي، مما يؤسس لمجتمعات مستقرة على المدى البعيد.

وعليه يمكن الخروج بمفهوم للاعتماد على النفس بأنه: هو شعور داخلي بالقدرة والاستقلالية، مدفوع برغبة الفرد في تحقيق الأهداف الشخصية من خلال العمل الجاد والإتقان، مع الالتزام بالقيم الأخلاقية والدينية، والتوازن بين الاستقلالية الشخصية والمسؤوليات الاجتماعية.

المبحث الثاني: أهمية الاعتماد على الذات وآليات تعزيزه

يعد الاعتماد على الذات أحد مظاهر التكريم الإلهي للإنسان لقوله تعالى: ﴿ولقد كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70] فالله تعالى أوجد في الإنسان الاستعداد الفطري ليعتمد على ذاته من أجل تحقيق الكرامة والحياة الكريمة، ويمثل الاعتماد على الذات أحد الركائز الأساسية التي تعززها الشريعة الإسلامية، وأهم السمات الضروري توفرها في شخصية الفرد المسلم، حيث تسهم هذه القيمة في تطوير شخصيته، وتعزيز استقراره الذاتي والاجتماعي، وتحقيق نهضة شاملة للأمة ،"فإن التنمية باعتبارها مقوما حضاريًّا، وأداة من أدوات تحقيق المَـــنعَة، وصيانة المشروع الحضاري؛ تقوم على استراتيجية الاعتماد على الذات، وتستهدف تحقيق الدولة القوية" (أفقير، 2015).

وحتى تتعزز أهمية هذا المبدأ في النفوس، استعمل الإسلام الأساليب الآتية:

1. أسلوب التوجيه والتعليم والربط العاطفي، وصورته أنَّ النصوص الشرعية تُقدِّم توجيهات واضحة تركز على أهمية توجيه إدراك المسلمين ووعيهم نحو فهم عميق لقيمة الاعتماد على الذات، ومن ذلك:

أ. بيان أن قيمة الاعتماد على الذات يتجاوز كونها سلوكًا دنيويًا؛ بل تتعدى ذلك لتصبح مسؤولية متكاملة تشمل تأثيرات بعيدة المدى تمتد إلى المصير الأخروي، يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: 39] قوله أيضا: ﴿كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:38]، يقول ابن عاشور معلقا على الآيات الواردة: إن الفائدة من العمل محصورة فيما ينجزه الإنسان بنفسه، ولا يمكنه الاستفادة من عمل غيره (ابن عاشور ،

1984)، كما يؤدي هذا الربط إلى تحفيز الفرد المسلم على تبني سلوكيات قائمة على الاعتماد الذاتي، مع وعيه الكامل بأن جهوده الشخصية تنعكس في نتائج دائمة تتجاوز زمن الحياة الدنيا لتشمل الأثر الإيماني والأخروي، وهذا ما وضَّحه بصورة أكبر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ». فَقَالَ ثَوْبَانُ أَنَا. فَكَانَ لاَ يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا (أبو داود، 2009)، حيث ربط بين الاعتماد على الذات ونيل رضا الله تعالى المفضي إلى دخول الجنة.

ب. بيان أن قيمة الاعتماد على الذات لا يقتصر أثرها على الجانب المادي المحصور بالأفراد؛ بل يمتد ليشمل المجتمع كله، وهذا يؤكده حديث النبي صلى الله عليه وسلم «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» (البخاري، 1987هـ)، وفي رواية المستدرك: «وَيَدُ الْمُعْطِي فَوْقَ يَدِ السَّائِلِ، وَيَدُ السَّائِلِ أَسْفَلُ الْأَيْدِي» (الحاكم ، 1990)، ويوضح ذلك الإمام الغزالي ذلك فيذكر أن الاعتماد على الذات يقلل من شعور الفرد بالضَّعف أو الدونية (الغزالي ، 1982) ؛ وذلك من خلال شعور الفرد المسلم باستقلاليته اقتصاديا، والذي يتولد منه شعور بالفخر والرضا لاعتماده على نفسه، ودفعه إلى المساهمة في المجتمع إيجابيا من خلال المشاركة في البناء والعطاء فتكون يده عليا، في حين أن اليد السفلى هي يد تستهلك ولا تنتج، وتسترف الثروة ولا تزيد فيها، وتمثّل عبئاً على المجتمع (الصاحب، 2010)

2. النمذجة والتقليد، وهما عمليتان يتعلم منهما المتلقي إجراءات التنظيم الذاتي عبر ملاحظة وتقليد سلوك النماذج الناجحة (Zimmerman , Barry J;Dale H. Schunk, 2001)، وقد قدمت النصوص النبوية نماذج عملية لشخصيات تحظى باحترام وتقدير كبيرين في مجتمعاتها اعتمدوا على أنفسهم اقتصاديا بممارسة مهنٍ يدوية، فأخبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الأنبياء اتخذوا لأنفسهم أعمالا يوفرون بها قوت يومهم، فيروي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ» (البخاري، 1987هـ) وعنه أيضًا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان زكريا نجارا» (ابن ماجه م.، 2009) وعن المقدام بن معدي كرب أنَّ رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال: «...وإنَّ نبيَّ اللَّه داود كان يأكل من عمل يده» (البخاري، 1987هـ)

والنمذجة الواردة في الأحاديث النبوية تلعب دورا مهما في تفعيل قيمة الاعتماد على النفس وتشكيل السلوك الإيجابي لدى الأفراد حيث إنهم سيقتدون بالأنبياء والرسل في كيفية تحقيق الكرامة الذاتية من خلال العمل الجاد والاعتماد على الذات (الكوراني، 2008)

3. التعزيز الإيجابي: إن تعظيم قيمة العمل في النفوس من خلال استخدام أساليب التعزيز الإيجابي يشجع

على تبني سلوكيات معينة عبر إظهار فوائدها المباشرة وغير المباشرة، فعلى سبيل المثال:

أ. بيان أن الرزق الحاصل منه هو خير الأرزاق: يوضحه قول رسول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما أَكل أَحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أن يأكل من عمل يده» (البخاري، 1987هـ)، فيتم تعزيز قيمة العمل من خلال التأكيد على أن الرزق الناتج منه هو الأطيب والأكثر بركة؛ لأنه يؤدي إلى الاعتماد على الذات والاستغناء عن الآخرين، وهو ما جعل ابن حجر يُعَلِّل سبب وصفه بالخيرية (ابن حجر ، 1993)

ب. بيان أن الجد في العمل والاعتماد على الذات من مكفرات الذنوب، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ أَمْسَى كالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ» (البخاري، 1987هـ) ، فيعزز الحديث الفكرة بأن الجِدَّ في العمل والاعتماد على الذات ليس مكسبًا دنيويًا فقط، بل هو أيضًا سبب لمغفرة الذنوب، وهذا الربط من شأنه أن يعزز من قيمة العمل، من خلال التأكيد على أن الجهد الشخصي له تأثيرات إيجابية تتجاوز الأبعاد الدنيوية المادية.

ج. بيان أن الرزق المكتسب من الاعتماد على الذات أهنأه وأحله، لحديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه» (البخاري، 1987هـ)، والسبب أنه جاء دون الحاجة إلى أحد، فيتم تعزيز قيمة العمل من خلال ربطه بمفاهيم مثل التوكل على الله والنقاء من الشبهات (الهرري، 2018)

المبحث الثالث: الآليات التي توضحها النصوص النبوية لتطبيق الاعتماد على الذات في سياق مكافحة الفقر

في ظل التحديات الاقتصادية الراهنة التي تواجهها المجتمعات الإنسانية، تبرز النصوص النبوية كمرجعية مهمة تقدم إرشادات عملية لتعزيز الاعتماد على الذات كآلية فعالة لتحقيق التنمية المستدامة بالمجمل، ولمكافحة الفقر وتحقيق الاستقلال المالي بشكل خاص، وتعتمد هذه النصوص على منظومة متكاملة من القيم التي توجه الأفراد نحو الكسب الحلال والعمل الجاد؛ مما يعزز من قدرتهم على تحقيق الاكتفاء الذاتي، ويساهم في تنمية المجتمع ككل.

إن التركيز على الجمع بين العمل والاجتهاد مع التوكل على الله يشكل نهجًا متوازنًا يجمع بين المسؤولية الفردية والتكافل المجتمعي، وهو ما يدعو إليه الإسلام كجزء من منظومته الاقتصادية الشاملة.

وعند تحليل النصوص النبوية من منظور اقتصادي حديث، يمكن استنباط آليات متعددة تساهم في تعزيز الاستقلال المالي للأفراد، وتوجيههم نحو الاعتماد على أنفسهم في تأمين معيشتهم، وأهم الآليات المتبعة في تحقيق الاعتماد على الذات هي تعزيز التنمية المستدامة، والتي تقوم على الأسس الآتية:

أ. تشجيع ريادة الأعمال والمساهمة في السوق.

وتُعدُّ ريادة الأعمال إحدى الاستراتيجيات الأساسية لتعزيز النمو الاقتصادي من خلال تشجيع الأفراد على البدء بمشاريعهم الخاصة وإدارتها بصورة مستقلة، لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى» (البخاري، 1987هـ)، فمن المنظور الاقتصادي يشجع النبي صلى الله عليه وسلم الأفراد على الإنتاج من خلال الدخول إلى الأسواق كمنتجين يعززون النمو الاقتصادي، وذلك بإنشاء مشاريع صغيرة تنتج سلعاً وتقدم خدمات تلبي احتياجات المجتمع، وهذا بدوره يساهم في خلق فرص عمل إضافية وظهور ابتكارات جديدة؛ ممَّا يؤدي إلى تقليل نسبة الفقر، ويخفض أعداد الأفراد الذين يعتمدون على المساعدات الحكومية أو الاعتماد على الآخرين (Ovidiu, 2020). كما تساهم ريادة الأعمال في التغيير الاجتماعي من خلال تطوير منتجات أو خدمات تقلل حتى من اعتماد الناس على التقنيات القديمة، وكذلك معالجة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية من خلال إيجاد حلول تلبي احتياجات المجتمع، وهذا ما توفره المنافسة في المنظور الاقتصادي فتسعى الى تحسين كفاءة الأعمال وتخفض الأسعار للمستهلكين(Khudari, 2018) .

كما يمكن أن يُطلق على هذا الإجراء أيضا الاستقلالية الاقتصادية حيث يتم تشجيع الأفراد على أن يكونوا مكتفين ذاتيًا من خلال الإنتاج والمشاركة في السوق، وهو ما يعزز التنمية الاقتصادية المستدامة ويقلل من معدلات الفقر(Sono, 2024) ؛ إذ يُعتبر قطاع المشروعات الريادية مساهماً رئيسياً في ايجاد فرص العمل وتخفيف حدة البطالة نسبياً في عدد من الدول العربية وتتراوح نسبة مساهمة هذه المشروعات في العمالة في القطاع الرسمي بين 10 و 49 في المئة كما هو موضح في الشكل رقم (1)، وهي نسبة تقل بكثير عن متوسط المساهمة المسجلة في الاقتصادات النامية البالغة 60 في المئة مما يبرز عدد من التحديات التي تواجه هذا القطاع الحيوي في إيجاد المزيد من فرص العمل (د. عبد المنعم , هبة; د. الوليد , طلحة; أ. إسماعيل, طارق، 2019)

الشكل رقم (1). نسبة مساهمة المشروعات الصغيرة في قطاع الأعمال في عدد من الدول العربية لعام 2019

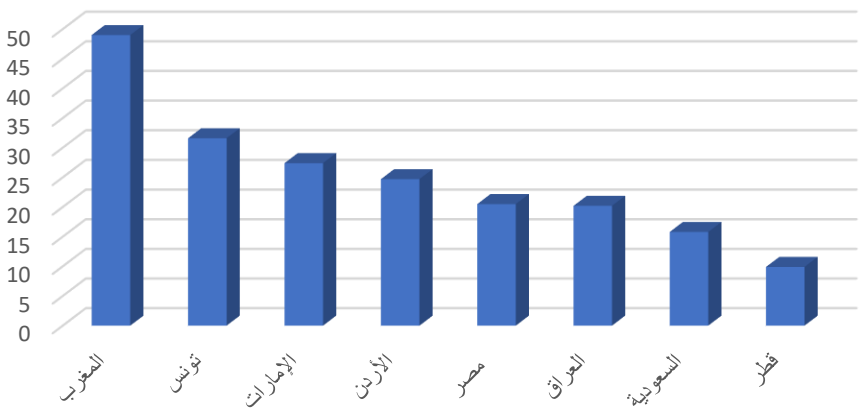

ب. تعزيز إنتاجية العمل وتطوير المهارات:

تُظهر الأحاديث النبوية أهمية العمل وكسب الرزق من خلال الجهد الشخصي، وهو ما يتجلى بوضوح في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده " (البخاري، 1987هـ) حيث يُبرز هذا الحديث الفضل الكامن في العمل اليدوي وكسب الرزق بجهد الإنسان، مما يشكل أساسًا في تعزيز إنتاجية العمل، وهذا المفهوم يدعمه حديث آخر: قال صلى الله عليه وسلم: "أفضل الكسب بيع مبرور، وعمل الرجل بيده" (ابن حنبل، 2001) والذي يشير إلى أن العمل اليدوي والتجارة يُعتبران من أفضل وسائل الكسب، مما يعزز فكرة تطوير المهارات المهنية والإنتاجية.

ويُطلق على هذه التوجيهات النبوية في علم الاقتصاد بنظرية رأس المال البشري (Human Capital Theory)، والتي تؤكد أن الاستثمار في التعليم والتدريب وتطوير المهارات يرفع من إنتاجية العمل، ووفقًا لهذه النظرية، فإن الأفراد الذين يطورون مهاراتهم ومعرفتهم يصبحون أكثر إنتاجية، مما يزيد من قدرتهم على الكسب ويساهم في النمو الاقتصادي بشكل عام (صياد، 2024). ونظراً لأهمية رأس المال البشري في الاقتصادات؛ فقد دأبت معظم المؤسسات الدولية والمحلية لتحديد مؤشرات تقيس رأس المال البشري. فالبنك الدولي على سبيل المثال حدد مؤشر رأس المال البشري Human Capital Index (HCI) مقدار مساهمة الصحة والتعليم في مستوى الإنتاجية المتوقع أن يحققه الجيل القادم من الأيدي العاملة، كما يمكن الاستعانة بهذا المؤشر لتقييم مقدار الدخل المفقود والذي تخسره البلدان المختلفة بسبب فجوات رأس المال البشري، والسرعة التي يمكن من خلالها تحويل هذه الخسائر إلى مكاسب إذا ما عملت هذه البلدان على تنمية عنصر رأس المال البشري.

كما يوضح الشكل رقم (2) مؤشر رأس المال البشري لعدد من الدول العربية والإسلامية مقارنة مع سنغافورة واستراليا، فيُلاحظ أن هناك فجوة كبيرة في هذا المؤشر بين الدول العربية مما يعكس ضرورة الاهتمام بهذا المكون الحيوي للنهوض بالأفراد وتعزيز مهاراتهم.

الشكل رقم (2). مؤشر رأس المال البشري في عدد من الدول العربية وشرق أسيا

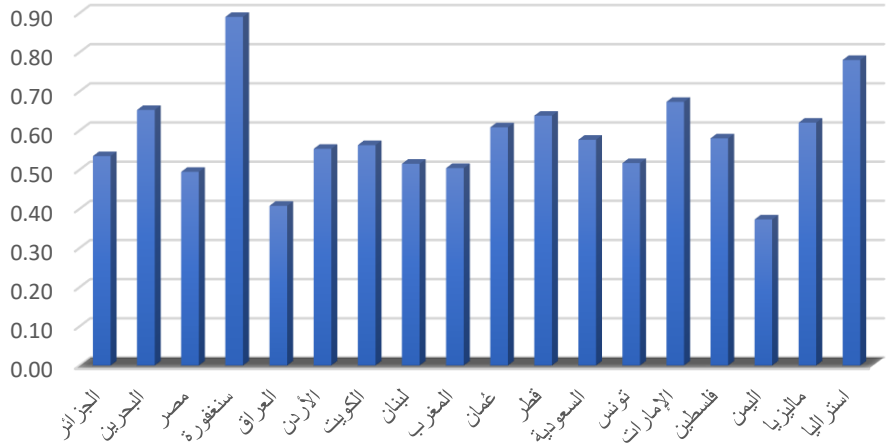

ت. تحقيق الاكتفاء الذاتي الزراعي والغذائي:

في إطار تعزيز التنمية المستدامة يعد تحقيق الاكتفاء الذاتي الزراعي والغذائي هدفاً جوهرياً للأجيال القادمة، وقد إشارات التعاليم النبوية المتعلقة بالزراعة واستصلاح الأراضي إلى ضرورة الاعتماد على الذات في الزراعة وإنتاج الغذاء، وهو ما يتجلى في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "من أحيا أرضًا ميتة فهي له" (الترمذي، 1975) والذي يشجع على إحياء الأرض من خلال زراعتها والاستفادة من خيراتها، مما يعزز فكرة الاكتفاء الذاتي من خلال تطوير الإنتاج الزراعي المحلي، إضافة إلى ذلك، فإن التعليمات النبوية: "ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" (البخاري، 1987هـ) تؤكد على أهمية الزراعة ودورها في توفير الغذاء، وهذا يشير إلى أن منافع زراعة الأرض تتجاوز الفرد لتشمل المجتمع بأسره.

وتشير التقارير الحديثة الصادرة عن المؤسسات الدولية المهتمة بالزراعة إلى الدور الحيوي الذي يؤديه الاستصلاح الأراضي والتنمية الزراعية في مكافحة الفقر وتعزيز الاعتماد الاقتصادي على الذات، فعلى سبيل المثال، يؤكد الصندوق الدولي للتنمية الزراعية (إيفاد) في تقريره عن التنمية الريفية لعام2021 (Paradela, 2021) على أن الزراعة الصغيرة وريادة الأعمال في القطاع الزراعي تؤدي إلى تنويع سبل العيش في المناطق الريفية، وذلك من خلال تحسين: الإنتاجية الزراعية، والبنية التحتية، والوصول إلى الأسواق، وهذه الجهود ستعين المجتمعات الريفية على تقليص الفقر وتحقيق الاستقلال الاقتصادي، ويسلط التقرير الضوء على أن المزارع التي تصل مساحتها إلى هكتارين أو أقل تنتج 31 في المائة من أغذية العالم ، كما يركز التقرير على المبادرات التي تقوم بها إيفاد بشكل خاص على تمكين الفئات المهمشة، مثل الشباب والنساء، للمشاركة بفاعلية في القطاع الزراعي، فعلى سبيل المثال في أثيوبيا ساعد أحد المشروعات لعام 2015 وحتى تاريخ التقرير 2.5 مليون مزارع من أصحاب الحيازات الصغيرة على زيادة الإنتاجية الزراعية للأراضي المستصلحة بنسبة 19%، وزادت إيراداتهم بنسبة 96.2% ، وهذا بدوره وفَّر ما يقارب مليون فرصة عمل لسكان الأرياف خصوصا النساء والشباب (Paradela، **2021**).

ث. تحسين جودة العمل والإنتاجية:

تُعَدُّ الأحاديث النبوية التي تحث على إتقان العمل أساسًا مهمًا لتحسين جودة العمل والإنتاجية، وقد بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم أن إتقان الأعمال ممَّا يحبه الله تعالى فقال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" (البيهقي، 2003)، لذا نجد توجيهًا واضحًا بضرورة إتقان العمل، والذي بدوره يخلق وعيا بأهمية جودة الإنتاجية، ويؤسس لبنية أساسية تساعد على تحسين نوعية العمل، في المقابل يوضح حديث أبي هريرة رضي الله

عنه أن الغش في العمل والإنتاج سلوك محرَّم، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من غش فليس منا" (مسلم ، 1334 هـ)، مما يؤكد على ضرورة الالتزام بالجودة والنزاهة كقيم جوهرية في العمل.

ج. التشجيع على العمل مهما كان بسيطًا والابتعاد عن التسول

توضح الأحاديث النبوية الشريفة أهمية العمل في تأمين الرزق والابتعاد عن التسول، لما له من أثر في تعزيز مبدأ الاعتماد على الذات كوسيلة لتحقيق الكرامة الاقتصادية، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه يشجع بصورة واضحة على القيام بأي عمل، حتى وإن كان بسيطًا مثل جمع الحطب، وتفضيله على التسول، فيقول: "لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس" (البخاري، 1987هـ)، في المقابل يحذر من سؤال الناس من غير حاجة فيقول في حديث آخر "مَن سألَ الناسَ تَكثُّرًا فإنَّما يسألُ جمرًا، فليَستقلَّ أو ليَستكثر" ، (مسلم ، 1334 هـ) مما يعزز مفهوم الاستقلالية.

ويتوافق هذا المبدأ مع نظريات اقتصادية حديثة، مثلا النظرية الكلاسيكية لسوق العمل (classical labour market theory)، التي تركز على أهمية مشاركة الأفراد في سوق العمل، بغض النظر عن بساطة الوظائف، حيث تشجع النظرية على العمل باعتباره وسيلة لتقليل البطالة وزيادة الإنتاجية الاقتصادية (Ovchinnikova, T., & Strukov, G., 2018). إضافة إلى ذلك، تدعم الرفاهية الاقتصادية (Welfare Economics) تقليل الاعتماد على المساعدات الاجتماعية من خلال تعزيز العمل والاعتماد على الذات، مما يسهم في تحسين رفاهية المجتمع ككل (Sen, 1999)

تعزيز الكرامة الإنسانية من خلال الاعتماد على النفس:

تُعد الكرامة الإنسانية مبدأً أساسيًا في الشريعة الإسلامية، ويبرز ذلك من خلال الأحاديث النبوية التي تشجع على الاعتماد على النفس وتحقيق الاستقلالية الاقتصادية ففي حديث حكيم بن حزام يُشدد النبي صلى الله عليه وسلم على فضل اليد العليا، وهي اليد المعطية، على اليد السفلى التي تطلب فيقول: "اليد العليا خير من اليد السفلى" (البخاري، 1987هـ)، وهذا يعكس أهمية الاعتماد على النفس في كسب الرزق وتحقيق الاستقلالية، كذلك يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة الاستغناء عن الآخرين فيقول: "من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله" (البخاري، 1987هـ)، وهذا ممَّا يرفع من كرامة الفرد ويعزز من احترامه لذاته.

وتنسجم هذه القيمة الإسلامية مع نظريات اقتصادية حديثة مثل نظرية رأس المال الاجتماعي (Social Capital Theory)، التي تؤكد على أهمية العلاقات الاجتماعية والثقة المتبادلة في بناء المجتمع وتعزيز الاقتصاد. إنَّ الاعتماد على النفس يعزز من رأس المال الاجتماعي، من خلال تقوية الروابط الاجتماعية وزيادة الثقة بين الأفراد (Putnam, 2000)كما أن مفهوم الكرامة الإنسانية في الاقتصاد (Human Dignity in Economics) يركز على أن الكرامة الإنسانية يجب أن تكون جزءًا لا يتجزأ من السياسات الاقتصادية، حيث يعزز الاعتماد

على النفس من كرامة الأفراد ويجعلهم أكثر قدرة على المشاركة الفعالة في الاقتصاد (Sen، 1999). وفي هذا السياق فإن الحديث عن الكرامة الإنسانية دون مراعاة المنظور الاقتصادي سيكون مساوياً لإنكار الواقع الذي نعيش فيه. ففي مجتمع ينصب فيه التركيز على الحالة الإنسانية وتلبية احتياجات الناس، يلعب الاقتصاد دورا مركزيا في الكرامة الإنسانية. وهذا ما أكد عليه ويليام روبرت سكوت بقوله: "إن الشاغل الرئيسي للاقتصاد الاجتماعي هو شرح الاقتصاد بأوسع جوانبه، وهو إظهار كيف يتعامل الإنسان مع الأعمال العادية على استخدام الموارد البشرية والمادية لتحقيق مستوى من الراحة المادية" أي مستوى معين للكرامة الإنساني (Schandl, H; et al., 2016)

المبحث الرابع: أمثلة نبوية تعزز من قيمة الاعتماد على الذات وتدعم ديمومتها

من مزايا الإسلام العظيمة أنه دين واقعي، تنبثق واقعيته من فهم واقع الناس وما يطرأ عليه من متغيرات وحوادث، ومن ثم إيجاد الحلول الفعالة المناسبة لها دون أن يكون لها تأثيرات سلبية على جوانب حياتية أخرى، كل ذلك من أجل تحقيق مصلحتين رئيستين هما:

الأولى: تجدد الحياة واستمرارها، دون تعثر أو توقف؛ وذلك لضمان تحقيق الهدف الأسمى الذي من أَجله خُلق الإنسان أو وهو خلافة الأرض وعمارتها.

الثانية: التوافق مع الفطرة الإنسانية، وتلبية مطالبها وحاجاتها المتنوعة، وبيان أن هذا الدين ليس مجرد نصوص نظرية وشعائر وطقوس تؤدَّى في أوقات معيَّنة؛ بل هو دين شمولي يُعنى بجميع الجوانب البشرية لتحقيق التقدم والازدهار، وتجنب الكوارث والمشاكل المعقدة.

ومما هو معروف أن البشر ليسوا على درجة واحدة من الاستعدادات النفسية والعقلية والجسمية، فقد لا يستطيع كل إنسان أن يكون مبادرا معتمدا على نفسه في كسب الرزق دون مساعدة تضعه على بداية الطريق وتأخذ بيده وترشده وتشجعه ليعتمد على نفسه، ولا يكون عالة على غيره.

لذا فقد جاء الهدي النبوي بإجراءات وتدابير تأخذ بأيدي هذه الشريحة لتضعها على بداية طريق العمل، وتعزز فيها قيمة الاعتماد على النفس؛ لتقوم بالعمل، ولا تقف عاجزة تنتظر المعونة والصدقة، وذلك كفاية لحاجاتها، وإعفافاً لها، وصوناً لكرامتها من أن تبذل في الطرقات وعلى أبواب الناس.

وهذا الهدي النبوي إنما هو تطبيق لمبدأ التعاون على الخير بين افراد المجتمع، لينعم الجميع بحياة طيبة، قال تعالى ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: 2]

يقول رشيد رضا: «إنَّ البرَّ اسمٌ لمجموع ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى; من الإيمان والأَخلاق والآداب والأَعمال، وكلُّ واحد منها يُعدُّ خصلةً أَو شعبة من البرِّ. أَمَّا الأَمر بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى فهو من أَركان الهداية الاجتماعيَّة في القُرآن; لأَنَّه يوجب على النَّاس إِيجابًا دينيًّا أَن يعين بعضهم بعضًا على كلِّ عملٍ من أَعمال

البرِّ التي تنفع النَّاس أَفرادًا وأقوامًا في دينهم ودنياهم، وكلُّ عملٍ من أَعمال التَّقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضارَّ عن أَنفسهم» (رضا، 1990)

وقد حرص النبي ﷺ على غرس قيمة التعاون على الخير ونفع الآخرين في نفوس المؤمنين، ودفعهم إلى المسارعة في تطبيقها على أرض الواقع من خلال بيان فضلها على غيرها من الأعمال، وذكر المنزلة الرفيعة لصاحبها عند الله تعالى، كما جاء في حديث عبد الله بن عمر ﷺ قال: جاء رجلٌ إِلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله، أَيُّ النَّاس أَحبُّ إِلى الله؟ وأَيُّ الأَعمال أَحبُّ إِلى الله؟ فقال ﷺ: «أَحبُّ النَّاس إِلى الله، أَنفعهم للنَّاس، يكشف عنه كربةً، أَو يقضي عنه دينًا، أَو يطرد عنه جوعًا، ولأَن أَمشي مع أَخٍ لي في حاجةٍ، أَحبُّ إِليَّ من أَن أَعتكف في هذا المسجد –مسجد المدينة– شهرًا» (ابن أبي الدنيا ، 1994)

فيظهر من هذا الحديث أنَّ الأعمال متعدِّية النفع للآخرين هي معظَّمة عند الله سبحانه وتعالى وأَحب، وأكثر في الأجر والثواب.

ولأنّ بعض الناس قد يعدم العمل المناسب لقلة ذات اليد، أو لضعف الخبرة، فقد جاءت سنة النبي ﷺ لترشد الدولة والمجتمع، إلى مد يد العون لهذه الشريحة من الناس؛ لإيجاد العمل المناسب لهم من خلال نماذج لمشروعات صغيرة تسد حاجة الإنسان وتكفي عائلته، وقد يتعدى نفعها مستقبلا لتشمل غيره من الناس. ومن هذه النماذج:

أولا: الاحتطاب

من مظاهر الحكمة النبوية استثمار الإمكانيات المتاحة في البيئة المعاشة لتكون الاستفادة منها بأقصى درجة ممكنة، ومن ذلك إرشاد النبي ﷺ أحد الصحابة الذي جاء يطلب منه مالا أو متاعا، فقام النبي ﷺ بمساعدته، ولكن بطريقة مبتكرة وغير تقليدية، وذلك من خلال إرشاده إلى استثمار ما يملكه من موارد بسيطة في ابتداء مشروع صغير يعود بالنفع عليه، ويكفيه مؤنة السؤال، فعن أنس بن مالك: أن رجلاً من الأنصار أتى النبيَّ ﷺ يسأله، فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال: بلى، حِلْسٌ: نَلْبَسُ بعضَه ونَبْسُطُ بعضَه، وقَعْبٌ نشربُ فيه من الماء، قال: «ائتني بهما»، قال: فأتاه بهما، فأخذهما رسولُ الله ﷺ بيده، وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل: أنا آخذهما بدرهم، قال: «من يزيدُ على درهم؟» مرتين أو ثلاثا، قال رجل: أنا آخذُهما بدرهمين، فأعطاهما إياه، وأخذَ الدرهمين فأعطاهما الأنصاريَّ، وقال: «اشترِ بأحدهما طعاماً، فانبذْه إلى أهلك واشتر بالآخر قَدوماً فأتني به» فأتاه به، فشدَّ فيه رسولُ الله ﷺ عوداً بيده ثم قال: «اذهبْ فاحتَطِبْ وبع، ولا أَرَيَنَّك خمسةَ عشرَ يوماً» فذهب الرجلُ يَحتَطِب ويبيع، فجاء، وقد أصابَ عشرةَ دراهم، فاشترى ببعضها ثوباً، وببعضها طعاماً، فقال رسولُ الله ﷺ : «هذا خيرٌ لك من أن تجيءَ المسألةُ نكتةً في وجهك يومَ القيامة...» (أبو داود، 2009)

إن هذا الحديث يحتوي خطوات سبق بها الإسلام إلى النظم التي ما عرفتها البشرية إلا بعد قرون، إن

الإسلام لم يعالج المحتاج بالمعونة المالية المؤقتة، كما يفكر كثيرون، بل يقدم خطوات عملية فعالة يكون لها الأثر القريب في سد حاجة المحتاج والأثر البعيد في التقليل من نسبة المحتاجين وأعدادهم في المجتمع.

إن هذا الحديث يحوي على الأفكار الرئيسة لإقامة أي مشروع صغير يستفيد منه أهل الحاجة، وفيه من الإرشادات ما يؤهل إلى نجاح المشروع وتطويره، وهي على النحو الآتي (القرضاوي، 1985)

1. تقديم الاستشارات والتوجيهات المناسبة والخطط اللازمة لإنجاح المشروع.
2. اختيار المشروع المناسب لإمكانات الإنسان المحتاج البدنية والعقلية، فما يصلح لأحدهم لا يمكن أن يكون مشروعا ناجحا لآخر. وهذا يظهر من خلال اختيار النبي ﷺ المشروع المناسب لذلك الرجل وهو جمع الحطب وبيعه، وهو مشروع ناجح في ذلك الزمن لحاجة الناس إلى الحطب في تسيير أمورهم المترلية.
3. المشاركة المالية من المحتاج في رأس المال بقدر ما أمكن؛ حتى يأخذ المشروع على محمل الجد، ويثابر كل المثابرة على إنجاحه والمحافظة عليه، ويظهر ذلك في الحديث من بيع الرجل لبعض الأشياء من بيته وهي: الحلس والقعب.

لكن قد يتبادر عند قراءة الحديث وهو: كيف يأمر النبي ﷺ ذلك الرجل ببيع أشياء يحتاجها في بيته؟، فالجواب: أن هذا الأمر كان لصالح منفعة أكبر في المستقبل؛ بمعنى أن المشروع الذي بدأه الرجل سيدر عليه من الأموال ما يمكنه ما شراء ما يحتاج في المستقبل. ويُلاحظ في الحديث أن الرجل قد عاد بعد مدة من الزمن بعشرة دارهم واستطاع توفير بعض الاحتياجات التي ما كان يستطيع تحصيلها.

كما يعلمنا النبي ﷺ أن ركن المخاطرة حاضر في كل مشروع، ولو كان الإنسان لا يدخل مشروعا إلا إذا كان رابحاً فيه مئة في المئة لما أقدم إنسان على عمل أبدا، فيجب على الإنسان أن يوطن نفسه على احتمال الخسارة -بعد وجوب الاحتياط والأخذ بالأسباب-، ولكن هذه الخسارة يجب أن يكون محفزا لتلافي الخطأ للنجاح مرة أخرى.

4. المساعدة المالية من أطراف أخرى تدخل المشروع إما مشاركة فيه، أو يكون المال على هيئة هبة وصدقة غير مستردة، ويظهر هذا من خلال شراء القعب والحلس بأعلى من ثمنهما الحالي، بمعنى ان النبي ﷺ أراد أن يكون للمجتمع إسهامه في دعم هذا المجتمع من غير أن يظهر في ذلك منة على صاحب الحاجة.
5. وضع جدول زمني يتم فيه تقييم المشروع ومدى نجاحه أو فشله، ومتابعة القائم على المشروع لتزويده بالنصائح والتوجيهات المناسبة في بداية مسيرته العملية، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: «ولا أرَيَنَّك خمسةَ عشرَ يوماً».

وتقوم فكرة المشروعات الصغيرة على أفكار بسيطة تلقى رواجا وانتشارا في المجتمع، ولا تكلف رأس مال كبير، فمشروع الاحتطاب الذي أرشد إليه النبي ﷺ ذلك الرجل لم يحتج إلا إلى أدوات بسيطة، فأس يقطع

به الحطب، لم يكلف ثمنه إلا درهم واحد في ذلك الزمن.

النموذج الثاني: منح الأرض لمن يحييها ويعمرها

وهذا النموذج يمثل جانباً آخر من المشروعات الصغيرة، يكون للدولة فيه أو لمن يملك الموارد من الأغنياء إسهام مباشر، وتمثل ذلك في عهد النبي ﷺ بمنح بعض الأراضي المملوكة للدولة لمن يحييها ويعمرها، وهذا المشروع يستفيد منه من أعطيت له الأرض، من خلال تمليكه إياها وكذا استفادته من العمل فيها وإحيائها، وكذلك تستفيد منه الدولة باستثمار أراضيها وعدم تركها بورا بلا فائدة؛ مما يعزز القدرة الإنتاجية والكفاية الذاتية للمجتمع، وأيضاً ما قد تحصله الدولة من عشور أو خراج أو مستحقات أخرى، فعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ»، قَالَ عُرْوَةُ: «قَضَى بِهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلاَفَتِهِ» (البخاري، 1987هـ)

ووجه كون هذا النموذج من المشروعات الصغيرة، هو: أن الأرض الممنوحة تكون بقدر كفاية الشخص وعمله فيها، فلا يُعطى ما لا يقدر على إحيائه وإعماره، قال القسطلاني: "ولو تحجر فوق كفايته أو ما يعجز عن إحيائه فلغيره إحياء الزائد، فإن تحجر و لم يعمر بلا عذر، أمره الإمام بالإحياء أو يرفع يده عنه" (القسطلاني، 1906)

فتمليك الارض لا يكون بلا عمل، ولا يكون كذلك بلا فترة زمنية محددة تتم فيها متابعة هذا العمل، وقد نص علماء الحنفية على أن من دُفعت إليه أرض فلم يقم بإحيائها أُخذت منه ودُفعت إلى غيره، فقد جاء في كتاب "الهداية": " ومن حجر أرضا و لم يعمرها ثلاث سنين أخذها الإمام ودفعها إلى غيره وهذا استنادا إلى قول عمر بن الخطاب: "من أحيى أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ، وَلَيْسَ لِمُحْتَجِرٍ حَقٌّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ". (المرغيناني، 2015) وفي هذا متابعة وضمان لسير المشروع وفق مقصد الشارع الذي أراد تمكين المسلم من وسيلة ثابتة، وهي الأرض، يستطيع من خلالها كفاية نفسه من خلال العمل في مشروعه الصغير الخاص.

ويمكن للدول أو الأقاليم التي تحوي مناطق يمكن استثمارها بالزراعة والإحياء، أن تقوم بتسهيلات للمبتدئين من المستثمرين والشباب الذين في مقتبل عمرهم للاستفادة من مثل هذه المشاريع لمساعدتهم على كفاية أنفسهم والبداية بمشروعاتهم الخاصة.

وفي عصرنا يمكن الاستفادة من الهدي النبوي في موضوع المشاريع الصغيرة في تعزيز الإنتاجية ومحاربة البطالة والفقر في نواحي كثيرة جدا، وذلك تبعا لتنوع الأعمال وكثرتها، وتشعب الأفكار واتساعها.

المبحث الثالث: دعم المشاريع الصغيرة

يُعنى هذا المبحث بالحديث عن آليات ووسائل توفر غطاء للمشاريع الصغيرة ودعما لها في بادئ الأمر حتى تقف وتصبح قادرة على الانطلاق

أيضا توفر رؤوس الأموال للبدء بهذه المشروعات لتكون بديلا عن القروض الربوية التي تكون عامل هدم وليس عامل بناء وتطوير للمشاريع الصغيرة.

ويمكن للأغنياء، أو المصارف الإسلامية، أو نظام الوقف الإسلامي المساعدة في ذلك من خلال صور كثيرة منها مثلا: الإجارة المنتهية بالتمليك لسيارة للعمل أو آلة إنتاجية. أو الدخول في مضاربة بين العامل وصاحب المال.

وتكون هذه المساهمة بأشياء هي زائدة عن الحاجة لدعم أو تأسيس مشروعات صغيرة انطلاقا من قول النبي ﷺ: «من كان معه فضل ظهرٍ، فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ، فليعد به على من لا زاد له» (مسلم ، 1334 هـ)

قال النووي: «في هذا الحديث الحثُّ على الصَّدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرُّفقة والأَصحاب والاعتناء بمصالح الأَصحاب وأَمرُ كبير القوم أَصحابه بمواساة المحتاج» (النووي، 1973)

ومن الوسائل الداعمة للمشاريع الصغيرة الصَّدقات الاختيارية (الصدقة الجارية) والتي تتخذ عادة صورة الوقف الإسلامي فقد حث عليها النبي ﷺ بقوله: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (مسلم ، 1334 هـ). واستجاب المسلمين لهذا الترغيب فأصبحت الصدقات الجارية من الكثرة والضخامة ما يجعلها مفخرة ومزية للنظام الإسلامي.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث:

1. حرص الإسلام على نشر ثقافة الاعتماد على النَّفس والكسب الحلال بين أفراد المجتمع لضمان مجتمع عزيز كريم لا تُمسَّ كرامته ولا تراق تحت أي ظرف أو ضغط داخلي أو خارجي.
2. يستعمل الإسلام وسائل فعالة وناجعة في حل مشاكل المجتمع، تعتمد بشكل رئيس على جهود الفرد والمجتمع بصورة مجتمعة مثل الاستثمار في تعليم الأفراد وإكسابهم مهارات مهنية، فلا يكفي أن يُقدم طرف على بذل الحل دون الطرف الآخر، فكلاهما مكمل للآخر؛ لآن هذا يعني نتائج ضعيفة إن لم تكن معدومة.
3. وسائل الإسلام في حل مشكلة الفقر لا تقتصر آثارها على التقليل من نسبته أو الحد من آثاره فقط، بل تتعداه لتقوية شبكة المجتمع الداخلية وتعزز من تآلفه ومحبته.
4. المشاريع الصغيرة تحتاج لوضع خطط مسبقة تناسب حالة المحتاجين وتلبي مطالب شرائح واسعة في المجتمع.
5. كان من هدي النبي ﷺ توظيف الإمكانيات المتاحة –وإن كانت بسيطة– في خلق فرص للإبداع، تعزز المسؤولية لدى الأفراد، وتنقلهم من دور المستهلكين إلى دور المنتجين.

6. يمكن للمسلمين في كل عصر الاستفادة من المنهج النبوي في ابتكار طرق خلاقة في إنشاء المشاريع الصغيرة ودعمها مثل إنشاء المؤسسات الوقفية، وصناديق الزكاة والتي تسهم بصورة كبيرة في تمويل هذا المشاريع ورعايتها.
7. يوصي الباحثان بدراسة تقوم على قياس مستوى الوعي عند المسلمين فيما يخص المشاريع الصغيرة من منطلق نبوي.

يوصي الباحثان بإنشاء قسم خاص حكومي أو خاص يقوم اختصاصه على عقد ورشات العمل لمساعدة العاطلين عن العمل على اختيار المشاريع التي يمكن لها الاستمرارية، والتخطيط الجيد للبدء بها وتنفيذها، ومنح الاستشارات الاقتصادية التي من شأنها تطوير المشروعات الصغيرة.

References

Abd ‘al-Munʿim, Hiba; Dr. al-Walīd, Ṭalḥa; Asmāʾ Ismāʿīl, Ṭāriq. (2019). al-Nuhūḍ bi-al-Mashrūʿāt al-Mutanāhiyat al-Ṣighar wa-al-Ṣaghīra wa-al-Mutawassiṭa fī al-Duwal al-ʿArabiyya. Abu Dhabi: Arab Monetary Fund. Retrieved from https://www.amf.org.ae/ar/publications/aldrasat-alaqtsadyt/alnhwd-balmshrwat-mtnahyt-alsghr-walsghyrt-walmtwstt-fy-aldwl

Abd ‘al-Munʿim, Hibah; et al. (2019). al-Nuhūḍ bi-l-Mashrūʿāt al-Ṣaghīrah wa-l-Mutawassiṭah fī al-Duwal al-ʿArabiyyah. Abu Dhabi: Arab Monetary Fund.

Abū Dāwūd, Sulaymān ibn al-Ashʿath. (2009). Sunan Abī Dāwūd. Beirut: Dār al-Risālah al-ʿĀlamiyyah.

Bank, T. W. (2023, September). *Unemployment, total.* Retrieved from worldbank.org: https://data.worldbank.org/indicator/SL.UEM.TOTL.ZS?locations=CV&name_desc=false&view=map

Al-Bayhaqī , Aḥmad ibn al-Ḥusayn. (2003). *Shuʿab al-Īmān*. Riyadh: Maktabat al-Rushd lil-Nashr wa-al-Tawzīʿ.

Berisha, G., & Shiroka Pula, J. (2015). Defining Small and Medium Enterprises: a critical review. *Academic Journal of Business*, 17-28.

Al-Bukhari , Muhammad Ismail (1987). *Sahih al-Bukhari*. Beirut: Dar ibn kather.

Al-Ghazālī , Muḥammad ibn Muḥammad. (1982). Iḥyāʾ ʿUlūm al-Dīn. Beirut: Dār al-Maʿrifah.

Al-Ḥākim, Muḥammad ibn ʿAbdullāh. (1990). Al-Mustadrak ʿala al-Ṣaḥīḥayn. Beirut: Dār al-Hararī, Kutub al-ʿIlmiyya

Honicke, Toni; Jaclyn Broadbent. (2016). The Influence of Academic Self-Efficacy on Academic Performance: A Systematic Review. *Educational Research Review*, 63-84. doi:https://doi.org/10.1016/j.edurev.2015.11.002

Ibn Abī al-Dunyā, ʿAbd Allāh ibn Muḥammad. (1994). Qaḍāʾ al-Ḥawāʾij. Cairo: Maktabat al-Qurʾān.

Ibn al-Wardī, ʿUmar ibn Muẓaffar. (1996). Risālat Ibn al-Wardī. Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyya.

Ibn ʿĀshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. (1984). Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr. Tunis: Al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.

Ibn Ḥajar, Aḥmad ibn ʿAlī. (1993). Fatḥ al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. Beirut: Dār al-Maʿrifa.

Ibn Ḥanbal, Aḥmad ibn Ḥanbal. (2001). Musnad Aḥmad ibn Ḥanbal. Beirut: Mu'assasat al-Risāla.

Ibn Khaldūn, ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad. (1988). Muqaddimah Ibn Khaldūn. Beirut: Dār al-Fikr.

Ibn Mājah, Muḥammad ibn Yazīd. 2009 CE. Sunan Ibn Mājah. Bayrūt: Dār al-Risālah al-ʻĀlamīyah,

Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Muḥammad ibn Abī Bakr. (2019). Madārij al-Sālikīn. Beirut: Dār Ibn Ḥazm.

Ittiḥād al-Maṣārif al-ʿArabiyyah. (2018, August 6-7). Retrieved from Ittiḥād al-Maṣārif al-ʿArabiyyah: http://www.uabonline.org

Al-Jandalī, Ayman Muḥammad Ḍaw. (2016). *Lamḥa Naẓariyya ʿan al-Tanmiyya al-Mustadāma*. Al-Muʾassasa al-ʿArabiyya li-l-Istishārāt al-ʿIlmiyya wa-Tanmiyat al-Mawārid al-Bashariyya, 4(10), 204-246. doi:10.12816/0038835

Khudari, M. (2018). The Knowledge Spillover Theory Of Entrepreneurship An Empirical Evidence From Malaysia. In N. Nadiah Ahmad, N. Raida Abd Rahman, E. Esa, F. Hanim Abdul Rauf, & W. Farhah (Eds.), Interdisciplinary Sustainability Perspectives: Engaging Environmental, Cultural, Economic and Social Concerns, vol 44. European Proceedings of Social and Behavioural Sciences (pp. 587-595). Future Academy. https://doi.org/10.15405/epsbs.2018.07.02.63

Krasovska, Nataliya; Fouché,Paul J. (2021). The Meaning of Life and Death in the Eyes of Frankl: Archetypal and Terror Management Perspectives. *Europes journal of Psychology, 17*(3), 164-174.

Al-Kūrānī, Aḥmad ibn Ismāʿīl. (2008). Al-Kawthar al-Jārī ilá Riyāḍ Aḥādīth al-Bukhārī. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth.

Al-Marghīnānī, ʿAlī ibn Abī Bakr. (2015). al-Hidāyah fī Sharḥ Bidāyat al-Mubtadī. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī.

Al-Muḥammad al-Amīn ibn ʿAbd Allāh. (2018). Murshid Dhawī al-Ḥijā wa-al-Ḥājah ilā Sunan Ibn Mājah. Jeddah: Dār al-Minhāj.

Muslim, Muslim ibn al-Ḥajjāj. (1334 AH). Ṣaḥīḥ Muslim. Beirut, Lebanon: Dār al-Jīl.

Myerson, J. (2000). *Ralph Waldo Emerson, "Self-Reliance" (1841).* New York: online edn, Oxford Academic.

Al-Naʿīm, ʿAbd Allāh al-ʿAlī. (2015). al-Mashārīʿ al-Ṣaghīrah wa-al-Mutawassiṭah wa-al-Usar al-Muntağah Rawāfid lil-Tanmiyah. In al-Muʾtamar al-Iqlīmī "al-Mashārīʿ al-Ṣaghīrah wa-al-Mutanāhiyah al-Ṣighar fī al-Buldān al-ʿArabīyah: al-Wāqiʿ wa-al-Ṭumūḥāt (pp. 207-222). Kuwait: Ṣundūq al-ʿArabī lil-Inmāʾ al-Iqtiṣādī wa-al-Ijtimāʿī.

Al-Nawawī, Yaḥyā ibn Sharaf. (1973). al-Minhāj Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim ibn al-Ḥajjāj. Beirut: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabī

Ovchinnikova, T., & Strukov, G. (2018). Measures to reduce unemployment. *80*, pp. 471-478. Voronezh: The Voronezh State University of Engineering Technologies.

Ovidiu, S. (2020). The Nexus between Entrepreneurship and Economic Growth: A Comparative Analysis on Groups of Countries. *Sustainability, 12*(3), 2-19.

doi:https://doi.org/10.3390/su12031186

Paradela, A. (2021, September 21). *IFAD.* ROMA: IFAD. Retrieved from Global food systems must be disrupted and changed .

Pedro Conceição. (2024). *The Human Development Report.* New York : UNDP.

Putnam, R. D. (2000). *Bowling Alone: The Collapse and Revival of American Community.* SimonandSchuste.

Al-Qaradāwī, Yūsufʿ Abd Allāh. (1985). Mushkilat al-Faqr wa Kayfa ʿĀlajaha al-Islām. Beirut: Muʾassasat al-Risālah.

Al-Qasṭallānī, Aḥmad ibn Muḥammad. (1906). Irshād al-Sārī li Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī. Cairo: al-Maṭbaʿah al-Kubrā al-Amīriyyah.

Riḍā, Muḥammad Rashīd. (1990). Tafsīr al-Manār. Cairo: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah lil-Kitāb.

Al-Ṣāḥib, Muḥammad ʿĪd. (2010). Al-Manhaj al-Nabawī fī ʿIlāj al-Tasawwul. Al-Majallah al-Urduniyyah li al-Dirāsāt al-Islāmiyyah, 6(1), 1-37

Ṣayyād, Qays Ibrāhīm ʿAbd. (2024). Taḥlīl al-ʿAlāqah bayna al-Istithmār fī Raʾs al-Māl al-Basharī wa-l-Numū al-Iqtiṣādī fī al-ʿIrāq. al-Majallah al-ʿArabiyyah lil-ʿUlūm al-Insāniyyah wa-l-Ijtimāʿiyyah, 25(1), 247-258. doi:10.59735/arabjhs.vi25.391

Schandl, H; et al. (2016). Decoupling global environmental pressure and economic growth: scenarios for energy use, materials use and carbon emissions. *Journal of Cleaner Production*, 45-56. doi:https://doi.org/10.1016/J.JCLEPRO.2015.06.100.

Sen, A. (1999). *Development as Freedom.* Oxford University Press.

Seon Ahn, H., Bong, M., Renninger, K. A., & Hidi, S. E. (2019). *Self-Efficacy in Learning Past, Present, and Future.* Cambridge: Cambridge University Press.

Sickles, Robin C.; Valentin Zelenyuk. (2019). *Measurement of productivity and efficiency* . Cambridge University Press.

Sono, M. G. (2024). The Effect of Innovation, Entrepreneurship and Business Development on the Economic Independence of Muslims. *West Science Islamic Studies, 2*(2), 80-90. doi:https://doi.org/10.58812/wsiss.v2i02.805

Al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ʿĪsá. (1975). *Sunan al-Tirmidhī.* Cairo, Egypt: Maktabat wa-Maṭbaʿat Muṣṭafá al-Ḥalabī.

‘Ufqīr, Muḥammad. (2015). *al-Iʿtimād ʿala al-Dhāt ka-Madkhal li-Taḥarrur min al-Tabʿiyya al-Raʾsmāliyya al-Muʿawlama*. Manšūrāt Muʾassasat Khālid al-Ḥasan lil-Dirāsāt wa-al-Abḥāth, 57-75.

Zimmerman, Barry J;Dale H. Schunk. (2001). *Self-Regulated Learning and Academic Achievement, Theoretical Perspectives.* New York: Taylor & Francis Group .